محضر اجتماع مقترح لترتيبات الانسحاب من العراق

علي الصراف
كاتب عراقي

إذا مضتْ الدعوات الإيرانية إلى إخراج القوات الأميركية من العراق قُدما، فان حكومة عادل عبدالمهدي ستجد نفسها مضطرة لكي تبدأ مناقشات رسمية. وهي طلبت من البنتاغون إجراء مباحثات حول الترتيبات. الولايات المتحدة رفضت الطلب. ولكن محادثات غير معلنة تظل أمرا ممكنا وقد تُجرى في نهاية المطاف، ربما مع المبعوث الأميركي إلى إيران، براين هوك، بوصفه أفضل من يفهم العقلية الإيرانية، ولأنه يتحدث، من خلال عبدالمهدي، مع حكومة إيرانية، ولأنه لا يمثل البنتاغون مباشرة. وفي ما يلي محضر مقترح للاجتماع:

عبدالمهدي: بموجب قرار البرلمان العراقي فنحن نريد أن تُتم الولايات المتحدة انسحابها من العراق في أسرع وقت ممكن.

هوك: أنت تتحدثُ بهذا الشأن بصفتك ماذا؟ ما أعرفه هو أنك ترأسُ حكومة مستقيلة. وأنك مكلّف بتصريف الأعمال فقط.

عبدالمهدي: أنا أمثّل إرادة الشعب العراقي.

هوك: أي شعب تقصد؟ هل الشعب الذي أجبرك على الاستقالة، أم الغوغاء الذين فتحت لهم الطريق لكي يهاجموا السفارة الأميركية؟

عبدالمهدي: إنها إرادة البرلمان، وهو برلمان منتخب من قبل الشعب.

هوك: هل تريد أن أقدّم لك الكشوف الحقيقية التي صنعت هذا البرلمان، لكي تعرف ما إذا كان منتخبا من الشعب بالفعل؟ وهل تمثّل الأحزاب التي صوتت للقرار إرادة الشعب العراقي، أم إرادة نظام إيران؟ وعلى أي حال فإن الذين صوتوا لصالح القرار، هم فقط الذين يتظاهر العراقيون ضدهم. ألم تلاحظ ذلك؟

عبدالمهدي: إنه قرارنا على أي حال. ونحن نريد أن ننهي العلاقة معكم لأنكم تنتهكون السيادة العراقية.

هوك: لحظة من فضلك. عن أي سيادة تتحدث، تلك التي تسمح لميليشيات إيران أن تصول وتجول فيه؟ وعن أي سيادة تتحدث وأنتم تنهبون موارد بلدكم لكي تدعموا نشاطات إيران التخريبية؟ وعن أي سيادة تتحدث وأنتم تتبعون توجيهات خامنئي؟

الميليشيات التابعة لإيران شريك في أعمال الإرهاب، تلعب دورا رئيسيا في الجرائم المنظمة التي يقودها الحرس الثوري. وهذا يعني أنها وكل قادتها سوف يكونون قيد الملاحقة كإرهابيين

عبدالمهدي: أنا أتحدث بصفتي رئيسا للحكومة العراقية. ولستُ مسؤولا عن أعمال أي أطراف أخرى.

هوك: أليس من مسؤوليتك كرئيس للحكومة العراقية أن تحمي سفارتنا؟ فلماذا فتحت الطريق للغوغاء لكي يعتدوا عليها؟ ولماذا لم تقم بأي عمل لمواجهة الاعتداءات الأخرى التي قامت بها ميليشياتكم ضد القواعد الأميركية؟ ألم يكن من الواجب أن تحترموا جانبكم من الاتفاقات الأمنية الموقعة معكم؟

عبدالمهدي: هذه الاتفاقات أصبحت لاغية، من الناحية القانونية.

هوك: تتحدث عن القانون وكأنك تعرفه. هل تعرف لماذا يسمّيكَ العراقيون "عادل زوية" (نسبة إلى بنك الزوية الذي تمت سرقته من قبل حمايتك الخاصة)؟ هل تريد أن أقدم لك تسجيلاتنا الخاصة بهذا الشأن؟

عبدالمهدي: هذا حادث أصبح من الماضي وتمت تسويته. وعلينا أن نركز على المستقبل.

هوك: أي مستقبل؟ هل تعتقد أن حكومتك لها مستقبل؟

عبدالمهدي: في حدود الظرف الراهن، فنحن يجب أن نتحدث عن الإجراءات التي يتوجب العمل بها لقيامكم بإخلاء القواعد وسحب قواتكم من العراق.

هوك: يمكن أن ننسحب. ولكن هل أنت مدرك للعواقب؟

عبدالمهدي: نحن مدركون لكل العواقب. ونستطيع أن نتدبر أمور أمننا بأنفسنا.

هوك: بأنفسكم، أم بالمزيد من تدخلات إيران وحرسها الثوري؟

عبدالمهدي: كدولة ذات سيادة، فنحن نستطيع أن نتعاقد مع أي طرف في العالم. وإيران دولة جارة ولدينا معها مصالح مشتركة كثيرة.

هوك: أنت تخاطر بفرض عقوبات على العراق، وعلى الميليشيات التابعة لإيران، وعلى قادة هذه الميليشيات. على الأقل لأننا نحن من مهّد لكم الطريق لكي تستولوا على السلطة. ويجب أن تسددوا لنا ما خسرناه.

عبدالمهدي: لماذا العقوبات على العراق؟ نحن لم نرتكب أي شيء يستوجب فرض عقوبات على العراق.

هوك: العراق كشعب وكبلد لم يرتكب أي شيء. إنه ضحية لسلطة إيران عليه ولسطوة الميليشيات التابعة لها. العقوبات هي لحرمانكم من القدرة على تمويل نشاطات إيران التخريبية في المنطقة. أنتم تقدمون من عائدات النفط أكثر من 20 مليار دولار سنويا لإيران. الشعب العراقي أحقّ بهذه الأموال من إيران. أنتم تحرمون الشعب العراقي من حقوقه لكي تخدموا إيران.

عبدالمهدي: هذه أمور قابلة للجدل. ولكن يمكنكم فرض عقوبات على الميليشيات. لا أستطيع منعكم من ذلك. هذا أمر لا يخص الحكومة العراقية.

هوك: الميليشيات التابعة لإيران شريكة في أعمال الإرهاب، وهي تلعب دورا رئيسيا في الجرائم التي يقودها الحرس الثوري. وهذا يعني أنها وكل قادتها سوف يكونون قيد الملاحقة كإرهابيين.

عبدالمهدي: هذا أمر لا يخصنا كحكومة.

هوك: إنه يخصكم كحكومة لأنكم معنيّون بالالتزام بالقواعد والقوانين الدولية. فبموجب القانون الدولي، فإن حكومتكم مسؤولة عن تسليم المتهمين بأعمال الإرهاب، ومسؤولة عن ملاحقتهم وقتلهم إذا تطلبت الضرورة.

عبدالمهدي: وماذا يحصل لو قلت إننا كحكومة لا نستطيع القيام بذلك؟

هوك: أنا أعرف أنكم لا تستطيعون القيام بذلك. هذا يجعلكم شركاء في أعمال الإرهاب. كما يجعلكم كحكومة شركاء في المسؤولية القانونية. أو إنه يقول، على الأقل، إنكم لستم جديرين بقيادة العراق كدولة تحترم مسؤولياتها.

عبدالمهدي: هل أفهم من هذا أنك توجه لنا اتهاما بالتورط في أعمال الإرهاب؟

هوك: التغطية على أعمال الإرهاب أو التسامح معها، أو رعاية منظماتها تجعلكم شركاء في أعمال الإرهاب.

عبدالمهدي: إذا تمت معاملتنا كإرهابيين، أو فرض عقوبات علينا، فإننا سوف نحاربكم بكل ما لدينا من قوة.

هوك: لو كنت تجرؤ على ذلك، فافعل. هل تريد أن أعطيك إحداثيات القواعد الأميركية، ومواقع المعسكرات والسفن لكي تقوموا بضربها؟ أم أنك تعرفها؟ السفارة الأميركية في بغداد بحجم مدينة. فلماذا تكتفون بضرب الجدران الخارجية. هل أنتم جبناء إلى هذا الحد؟

عبدالمهدي: لا، نحن لسنا جبناء ولكننا نمارس ضبط النفس.

هوك: ضبط النفس مع الجدران؟ ما نوع ضبط النفس هذا؟

عبدالمهدي: إنه ضبط نفس، وكفى.

هوك: قل لمن يحركون الميليشيات، إننا لن نسمحَ بأي اعتداء على قواتنا. وأي عمل من هذا النوع، فإن إيران سوف تتلقى ردا ساحقا. لن نخوض حربا بالوكالة. إيران هي رأس الأفعى. قل لهم فليضربوا أينما شاؤوا إذا امتلكوا الشجاعة وسيرون بأنفسهم كيف سيكون الرد. لعبة ضربنا بالوكالة انتهت.

عبدالمهدي: ولكن ماذا بشأن ترتيبات الانسحاب؟

هوك: سوف نبحثها عندما نطمئن إلى أن العراق لن يصبح قاعدة من قواعد الإرهاب، ولا تتصرف حكومته بوصفها فرعا من فروع الحرس الثوري الإيراني، وعندما يكون لديه رئيس وزراء ليس متهما بفساد، وبرلمانا لا تهيمن عليه ميليشيات تخدم مصالح إيران.

انتهى الاجتماع.

الانتفاضة العراقية ستنتصر على مسلسل الموت الميليشياوي

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

قرار مقتدى الصدر المفاجئ بسحب أنصاره من ساحات الاعتصام ببغداد والناصرية والبصرة أثار غضب المعتصمين واستغراب العراقيين لأنه وفّر الفرصة لفصل جديد من حمام الدم الذي تنفذه الميليشيات الموالية لإيران باعتبارها المالكة للقرار الأمني الأول في العراق بعد غياب المؤسسة الرسمية الأولى، حتى وإن كانت حاضرة بزيّها العسكري في تنفيذ قرارات القتل هذه.

هناك من بين بعض المتابعين للشأن العراقي والمعجبين بشخصية الصدر من حاولوا وضع تفسيرات دفاعية لقراره الأخير وتبريره بحصول ضغوطات عليه من قبل طهران التي يقيم على أراضيها أو من قبل الزعماء السياسيين المحاصرين بضغوط الانتفاضة، لكن ذلك لا يلغي أن هذه الخطوة وضعت الصدر في حالة لا يحسد عليها بعد اتهام التنسيقيات له بركوب موجة الحراك ومحاولة استغلاله، وتأكيدهم بأن المتظاهرين باقون في الساحات حتى تحقيق المطالب وأنهم "لن يكونوا ورقة على طاولة المتاجرة السياسية كما فعل الصدر".

من آثار مقتل الجنرال قاسم سليماني النفسية والسياسية عند أتباعه في العراق محاولة تجميع شتاتهم التي عمّقتها الخلافات على مغانم السلطة، والبحث عن وسائل أكثر إجراما وتوغّلا في قتل الشباب الذين خرجوا من عباءتهم التي مزقها التغوّل الإيراني السافر في العراق وأعلنوا بداية عهد عراقي جديد في هذه الانتفاضة المشرقة. فتسارعت أطراف الطبقة السياسية إلى تجاهل خلافاتها لمواجهة هذا الخطر الشعبي الجديد الذي لا تشوّهه أو تلغيه شعارات "الإرهاب والبعثية والأميركية" وغيرها، لأن من يقود هذه الانتفاضة شباب محروم من أبسط مقومات الحياة من دون وصاية سياسية حاول الصدر أن يمرّرها عليهم عبر زرع بعض مناصريه داخل ميدان التحرير.

لم تتردّد الأدوات الميليشياوية بعد قرار الصدر الأخير في الكشف عن وجهها الدموي الغريب عن أهل العراق بعد أن اختفت خلال الشهور الثلاثة الماضية خلف عنوان "الطرف الثالث". كما لم تعد التعبيرات الإعلامية الفضفاضة للصدر قادرة على تمرير رغباته الحقيقية وتطلعاته السياسية في المناورة على حيثيات الانتفاضة ومتطلباتها الحقيقية في إزاحة النظام السياسي القائم حين قرر تنظيم "مليونية" رفض الوجود الأميركي في العراق موازية لمليونيات المنتفضين في العاصمة والمحافظات الجنوبية التي لم تختلف على هذا المطلب، لكنه لا يشكّل أولوية عراقية تفوق أهداف تصعيد الضغط على الأحزاب السياسية وإجبارها على القبول بمرشح لرئاسة الحكومة وفق شروطهم.

رغم جسامة تكاليف الدماء الزكية للشباب في مواجهة الحلقة الجديدة من مسلسل الموت الذي تنفّذه دولة الميليشيات، إلا أن هذه المرحلة بقدر ما هي خطيرة فهي تضع الانتفاضة أمام مسؤوليات مصيرية قد يرى البعض أنها فوق طاقتها وإمكانياتها مقابل إمكانيات السلطة اللوجستية، ولكن ما تمتلكه هذه الثورة من سلمية وعدالة مطالب تبقى متفوّقة كما هي الثورات الأصيلة على الحكومات المستبدة حتى وإن كانت خلفها قوى تدعي جبروتها.

المكسب الذي حققته الانتفاضة اليوم هو إسقاطها لمشروع الطائفية السياسية وتعطيلها النهائي لحروبها ذات العناوين المتعددة، مما نقل وظائف هذه الانتفاضة إلى مستوى جديد في العراق عليها تحمل مسؤولياته ومخاطره الآنية وهي قادرة على ذلك بجدارة. هذا الخطر هو مدى قدرة الشباب على تحمّل ثقل "السلمية"، في الوقت الذي تحاول فيه الميليشيات الضغط عليها وحصرها في زاوية التخلّي عنه لكي يسهل عليها تبرير القتل الجماعي، وإدخال البلد في حرب دموية يطلقون عليها "حرب شيعية – شيعية"، لكنها في الحقيقة حرب أهلية يريدون من خلالها الغلبة لسيادة إيران في العراق.

المكسب الذي حققته الانتفاضة هو إسقاطها لمشروع الطائفية السياسية وتعطيلها النهائي لحروبها ذات العناوين المتعددة، مما نقل وظائف هذه الانتفاضة إلى مستوى جديد في العراق عليها تحمل مسؤولياته وأخطاره

حققت الانتفاضة خلال ثلاثة أشهر أهدافا مهمة رغم بساطة إمكانياتها المادية والتنظيمية، فقد طرحت معاني الوطنية الحقيقية في ميادين الوعي السياسي ومظاهر متعدّدة في رفع شعار مقاطعة البضائع الإيرانية والترويج للبضائع العراقية، وأصبح التكافل الاجتماعي في ساحات التظاهر بمختلف المدن العراقية ظاهرة شائعة بعد انقطاعها منذ الحصار الأميركي الجائر على العراق بين 1991 و2003، كما حقّقت الانتفاضة قفزة كبيرة في مشاركة المرأة بقوة في ساحات الاعتصام والتظاهر كمتظاهرة وناشطة ومُسعفة بما حطّم قوالب اجتماعية فرضتها السلطة بخطابها الديني المنغلق.

انتفاضة أكتوبر ليست حدثا عابرا في حياة شعب العراق، وهي تمثّل استفتاء شعبيا على إسقاط الطبقة السياسية حتى وإن تمسّكت حاليا بقوالب الحكم الشكلية. وهذا ما يفرض المحافظة على تماسكها أمام محاولات الهجوم الكاسح للميليشيات التي أرادت إخراج الموالين للصدر عن ساحاتها لكي ينفردوا بالمعتصمين، ولا يدخلون في تعقيدات سياسية معه وهو ما حققه لهم هذه الرغبة.

صمدت الانتفاضة وتغلبت على إمكانيات الأحزاب وميليشياتها الممتلكة لوسائل الإعلام والاتصال الحكومية العراقية والإيرانية الداعمة، في حين لا يمتلك الثوّار سوى مواقع التواصل الاجتماعي التي تستطيع السلطة حرمانهم منها في أي وقت بقطع الإنترنت. كما لازالت صامدة لحد اللحظة تجاه عامل الوقت الذي تراهن عليه الطبقة السياسية، إضافة إلى مراهنتها على افتقار الانتفاضة لقيادة ميدانية موحّدة قادرة على توحيد وجهات نظر التنسيقيات الجماهيرية في مختلف المحافظات والتحدث باسمها لإدارة المفاوضات مع السلطة أو الجهات الدولية

الانتفاضة تمرّ بانعطاف مهم يتطلب قدرات سياسية عالية، وخططا لوجستية للتغلّب على مكر أعدائها، ولعل من أهم سبل مواجهة الحصار السياسي الجديد هو في كسر الإطار الطائفي الذي حاولت السلطة حصرها داخله عن طريق فتح الانتفاضة على ميدانها الوطني الواسع عبر مشاركة المحافظات الغربية الخارجة من احتلال داعش، إضافة إلى ما تحقق من مكسب سياسي في دعمها عبر المواقف الكردية الجديدة على وقع رفضهم لمشروع إخراج القوات الأميركية من العراق، وهو الوتر الحساس الرافض لمشيئة السلطة الحاكمة في بغداد. نحن على ثقة بأن الثورة الشبابية ستعبر محنة محاصرة شبابها وتتغلّب على الميليشيات.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk